مجلة كلية التربية – جامعة سرت
المجلد (1) عدد (خاص) فبراير (2022)

التعليم عن بعد بين التحديات والصعوبات التجربة المغربية أنموذجًا

إعدد: د. محجوبة العوينة
Bousbra@hotmail.fr
أكاديمية جهة طنجة تطوان الحسيمة للتربية والتكوين
المملكة المغربية – تطوان

الملخص

يُعدُّ التعليم عن بعد من أهم التطورات التي طالت مجالات التعليم المعاصر، فقد ضمنت حق المتعلم في التمدرس، بعدما تم تعليق الدراسة في أنحاء العالم بسبب انتشار فيروس كورنا، حيث توقف ما يزيد عن مليار 750 تلميذ وتلميذة عن الدراسة في أزيد من 190 دولة حسب إحصائيات اليونسكو وبالمغرب أدى إغلاق المدارس إلى توقف 9 ملايين و860 ألف تلميذ وتلميذة بالتعليم الأولي، 680 ألف متدربًا ومتدربة بالتكوين المهني ومليون و10 الآف طالبًا وطالبة بالجامعات، بالإضافة إلى 8 ملايين و208 الآف تلميذ وتلميذة بالتعليم الأساسي.

وقد راهنت وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي على التعليم المغربية على التعليم بعد لضمان الاستمرارية البيداغوجية لما في ذلك من حماية الأطراف العملية التعليمية التعلمية عملية ستحقق من خلال تسخير كل إمكانيات الاستمرارية البيداغوجية وسنحاول من خلال هذه الورقة إبراز التحديات والصعوبات التي وجهها التعليم عن بعد ومدى نجاعته في التجربة المغربية من خلال رصد وسائلها ومنجزاتها والتفاعلات وكذلك العوائق وسُبل تطوير التجربة

الكلمات المفاتيح: التعليم عن بُعد، التحديات، الصعوبات، الفعالية البيداغوجية، الاستمرارية البيداغوجية.

Abstract

Distance learning is one of the most important developments that have affected the fields of contemporary education, as it has guaranteed the learner's right to school, after studies were suspended around the world due to the spread of the Corona virus, As more than one billion and 750 male and female students stopped studying in more than 190 countries, according to UNESCO statistics and in Morocco, the closure of schools led to the suspension of 9 million and 860 thousand male and female students in primary education, 680 thousand trainees with vocational training, and one million and 10 thousand students in universities, in addition to 8 million and 208 thousand male and female students in basic education.

The Ministry of National Education, Vocational Training, Higher Education and Scientific Research has bet on Moroccan education and distance education to ensure pedagogical continuity since this protects the parties of the learning educational process which will be achieved by harnessing all the possibilities of pedagogical continuity. Through This paper we will try to highlight the challenges and difficulties encountered by distance learning and its efficacy in the Moroccan experience by monitoring its means, achievements and Interactions as well as obstacles and ways to develop the experience..

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، والصلاة والسلام الأتمان الأكمل ان الطيبان، على محمد رسول الله ، وبعدُ ؛

أثبتت جائحة كورونا أن التعليم عن بُعد ليس نوعًا من الترف، لكنه ضرورة مُلحة لمواكبة تطورات القرن الواحدِ والعشرين، وما رافقه من ثورة تكنولوجيا ، حيثُ أصبح الهاتف الذكي أنيسًا للفرد نهارًا ، وسميرًا ليلاً، مُلازمًا له كظله ؛ فحسب عالمة النفس الفرنسية الزاغودار : (مفهوم الزمكان أصبح منتفياً مع سطوة السمارتفون الذي يسجن وجودنا وطريقة تفكيرنا)[1] ، ما يدفعنا للبحث عن كيفية استغلال هذا الطارئ/ الحدث لصالح المدرسة، والتعلم بدل أن يشكل عائقًا يرسم هوة تبعد الناشئة عن الفصل .

موجة التعليم عن بُعد التي رافقت الزمن "الكوروني" كلحظة استثنائية، فتحت النقاش بين تيارين مختلفيْن ينتميان إلى نفس المنظومة – المنظومة التربوية :

- تيار محافظ رافض بالبث والمطلق، يعتبر التعليم عن بعد وسيلة لضرب المدرسة العمومية ، وتشيئ الأستاذ.
- وتيار مجدد اعتكف من أجل تصوير الدروس وإنجاز الموارد الرقمية التعليمية كانفتاح على البرائم التي تتيحها وسائل التواصل والاتصال للرفع من طرق التدريس.

الإشكالية

- هل مأسسة التعليم عن بعد في صالح المدرسة العمومية أم هو دس للسم في العسل؟
- كيف نستغل الرصيد المحترم من الموارد التعليمية الذي خلفته جائحة كورونا لتأسيس تعليم رقمي يشد عضد التعليم الحضوري؟
- ماذا لو قلبنا النظام التقليدي بجعل الدروس في المنزل والواجبات في الفصل؟
- هل التعليم عن بعد زحف لاجتثاث الأستاذ وتعويضه بالتقنية أم تجديد لأدواره وتخفيف للعبء؟

المحور الأول : التعليم عن بعد:سؤال الماهية والنشأة والاصطلاح :

1. تعريف التعليم عن بعد:

يعتبر استخدام مصطلح "التعليم عن بُعد" في حد ذاته حديثا نوعا ما، ففي 1982م, قام المركز الدولي للتعليم بالمراسلة بتغيير تسميته إلى المركز الدولي للتعليم عن بعد خاصة بعد التطور الهائل في استخدام وسائل الإعلام الإلكترونية المختلفة من إذاعة وتلفزيون، وسائط متعددة وشبكات المعلومات والاتصال المحلية والدولية والعالمية ونخص بالذكر شبكة الإنترنيت[2].

(1) ستشمل التبعات الأولى لثورة العصر الرقمي والافتراضية، دون شك، علاقتنا بالزمان والفضاء. فابتداء من الآن سيكون الموضوع الشاشة هو الذي يحدد إطار هذه العلاقة مع السمارتفون مثلا، نحن متصلون دائماً حيثما انا وفي أية لحظة، إلى حد أن الزمان والفضاء يبدوان وكأنهما انكفئا احدهما على الاخر، وقذفا بنا داخل تصور الموجود يمكن أن نطلق عليه الهنا والآن، وتقلص، تبعا لذلك، حقل تجاربنا الذي بشكل وجودنا كله . ينظر "إلزا غودار أنا أوسلفي اذن أنا موجود، تحولات الأنا في العصر الافتراضي" ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي للكتاب الطبعة الأولى 2019، ص 47

(2) Borje Holmberg the evolution Principles and practices of distance education

ويقصد بالتعليم عن بُعد : استخدام تكنولوجيا الاتصال وتقنيات الكمبيوتر في عملية التعليم، كما يعرفه الخبراء بنقل التعلم إلى المتعلم في موقع إقامته أو عمله بدلا من انتقال المتعلم إلى المؤسسة التعليمية ذاتها، وعلى هذا الأساس يتمكن المتعلم أن يزاوج بين التعلم والعمل إن أراد ذلك، وأن يكيف المنهاج الدراسي وسرعة التقدم في المادة الدراسية بما يتفق والأوضاع والظروف الخاصة به.

2. مصطلحات مرتبطة بالتعليم عن بعد :

إن القراءة المستفيضة للأدبيات النظرية الغربية والعربية في مجال التعلم عن بعد أسفرت عن وجود العديد من المصطلحات والهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية، والباحثين في التعبير عنه كل حسب اختصاصه، ومجال تطبيقه واستخدامه للمفهوم، فنجد أن منظمة الأمم المتحدة والتعليم والثقافة اليونسكو تستخدم مصطلحي :

- التعليم عن بعد l'enseignement a distance
- التكوين المفتوح عن بعد la formation Ouverte et a distance

أما مصطلح التعليم المفتوح ، فاستخدمته الجامعة البريطانية المفتوحة باعتبارها أعرق جامعة في هذا المجال.

ومصطلح التعليم / التعلم الإلكتروني : e-learningاستخدم من جمعية الإعلام الآلي سيسكو Cisco في الولايات المتحدة الأمريكية .

بالإضافة إلى مصطلح آخر la cyberformation الذي استخدمته منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية

ومصطلح التعليم الافتراضي / الجامعة الافتراضية enseignement virtuel .

و مصطلح التعليم المدمج blended learning .... إلخ[3].

وسنحاول أن نبسط بعض المصطلحات المتداولة في هذا المجال مع ترجمة مقترحة لها:

بالفرنسية		بالعربية
FOAD	Formation ouverte et a distance	التكوين عن بعد المفتوح
MOOC	Massive open online cources	دروس عبر الإنترنيت مفتوحة
E-LEARNING	1969	وموجهة لأعداد ضخمة
EAD		التعلم الإلكتروني
AAD		التعليم عن بعد
SPOC	Small private online cources	التعلم عن بعد دروس صغيرة وخاصة عبرالانترنيت

3. كرونولوجيا التعليم عن بعد :

- FAD :1969 التكوين عن بعد؛
- E - learning :1991 التعلم الإلكتروني؛
- FOAD:1993 التكوين عن بعد المفتوح معدل التسرب منخفض يصل إلى عشرين في المئة، يستطيع تطوير الكفايات العليا، المتعلم فاعل ومنتج، التعلم التشاركي، تأطير المتعلمين مع مراعاة الفروقات الفردية، يوفر منهاج تكوين كامل، يمزج التعليم الحضوري والتعليم عن بعد .

(3) دكتور صباح براهمي، إشكالية مفهوم التعلم عن بعد في الأوساط الأكاديمية قراءات في تعريف التعليم

- MOOC :2008 دروس عبر الإنترنيت مفتوحة و موجهة لأعداد ضخمة : يركز على المحتوى حيث نجد معدل التسرب مرتفع يصل إلى خمسة وتسعين في المئة يكون عن بعد حيث المتعلم مجرد متلقي؟
- Digital – Learning : 2013 التعلم الرقمي[4].

MOOC يركز على المحتوى في حين أن FOAD يركز على المتعلم.

4. مخلفات جائحة كورنا :

حاول المغرب تفعيل التعليم عن بعد بشكل اختياري بالنسبة للأساتذة والمتعلمين، من خلال تأهيل الموارد البشرية للتحكم في المكتبيات MOS، إنتاج الموارد الرقمية لصالح المتعلمين ووضعها في منصة إلكترونية، تكوين في المعالجة البيداغوجية عبر مشروع compractice...

لكن التفعيل الفعلي للتعليم عن بعد جاء مع جائحة كورونا، حيثُ أصبح لزامًا على الوزارة الوصية أن تبحث عن طرق بديلة للتعليم الحضوري من أجل استئناف دروس المنهاج الدراسي، هنا طفا إلى السطح هذا المفهوم..

ثلاثة أشهر من العمل الجاد خلف رصيدًا محترمًا من الموارد التعليمية، وفتح أعين الأساتذة والمتعلمين على نوع جديد من التعلم يتيح للفرد اكتساب المعرفة بشكل مرن بغض النظر عن الزمان والمكان. حيث تم إنتاج:

- أكثر من 3000 درس على المستوى المركزي والجهوي والإقليمي؛
- تم إنشاء 400 ألف قسم افتراضي؛
- استفاد أكثر من 600 ألف تلميذ من منصة MICROSOFT TEAMS
- بث الدروس عبر القنوات التلفزية؛
- اغناء منصة telmidTICE بمئات الموارد[5].

المحور الثاني:تحديات تربوية :

التحدى الأول : حضور عن بعد وضرورة التعلم بغاية التعليم :

الحضور عن بعد، هو السيناريو الرابع والأخير الذي عرضه كل من «جان فرانسوا بارمنتي » و «كونتيان فيسان» في كتابهما الموسوم بعنوان : "4 سيناريوهات التعليم عن بعد : نماذج علمية وجذاذات تطبيقية" الذي ترجمه إلى اللغة العربية الباحث التربوي المغربي الدكتور مصطفى حسني ، وقدم له الخبير التربوي المغربي الدكتور أحمد أوزيذ، وصدر عن منشورات مجلة علوم التربية شهر دجنبر سنة 2020م، حيثُ يؤكد الكاتبان معًا على خلق بيئة ملائمة وتنشيط المناقشات عبر الإنترنيت من خلال التأكيد على دعم المتعلمين في استخدام الأدوات الرقمية من أجل إنشاء مجتمع التعلم. يشارك المتعلمون بشكل أكبر؛ لأنهم يعرفون في جميع الأوقات ما يجب عليهم فعله، ومع من، وكيفية القيام بذلك، وأين يفعلون ذلك.

غير أنه في كثير من المناسبات ما يفهم «التعليم عن بعد» بشكل مجانب للصواب، باعتباره نمطاً تعليمياً يقوم به المتعلم بعيداً عن المؤسسة التعليمية التي يتردد عليها، باستعانته بوسائط تكنولوجية تساعده في التواصل والتفاعل مع الأستاذ، غير أنه لا يمكن الحديث عن هذا الشكل من التعليم بشكل منفرد، بل لا يستقيم إلا بتوظيف بيداغوجيا الفصل المعكوس ،

(4) ينظر "أسرار التكوين عن بعد" الأستاذ محمد تاج الدين .

(5) ينظر جريدة الأخبار، العدد 2266، الصادر بتاريخ الاثنين 6 أبريل 2020.

وبحضور فلسفة تعليم التعلم، بمعنى أن عملية التعليم عن بعد لا يمكن أن تكون سليمة بالقدر الكافي إلا بتوجيه من الأستاذ، لأن بيداغوجيا الفصل المعكوس تقوم على فلسفة «تعليم التعلم»، وهو النهج التعليمي الذي يناسب وظيفة المدرسة في القرن الحادي والعشرين، المدرسة التي تلبي حاجات المتعلمين وانتظارات المجتمع وطموحاته ؛ لذا، فالحاجة إلى بيداغوجيا للمستقبل، تنبع من قدر المنظومة على بناء كائنات لها القدرة على التكيف مع تحديات المستقبل (بيداغوجيا التكيف)، التي من ملامحها تغيير مورفولوجيا المدرسة (واقعية / افتراضية)، وتغيير إيقاعات التعلم (تعلم حضوري / تعلم عن بعد)، وتغيير في مناهجها التربوية (تثوير المناهج: المضامين/ طرائق التعليم). كل هذه التحديات تجعلنا منفتحين على مدرسة المستقبل (مدرسة ما بعد جائحة كورونا(.

كما لا يمكن عد التكنولوجيا حلا جاهزا لتعويض التعليم الحضوري، بل جزء من الحل وأساسه؛ لأن توفر المتعلم على الوسائط التقنية لا يعدو أن يكون شرطًا أوليًا للتعليم والتعلم، حيث ينبغي تعليمه كيفية البحث السليم والصحيح، حتى يتعلم البحث بالطريقة السليمة وبالكيفية التي توفر له الجهد والزمن، ويصل من خلالها إلى جادة الصواب.

ومما لا شك فيه ، أن توفير الجهاز الإلكتروني للمتعلم ، وتركه وحيدًا بمبرر التعليم، هو سلوك شبيه بتسليم رخصة السياقة لمراهق لا يعرف غير تشغيل المحرك، حيث سينهي الأمر بحادث قاتل؛ لذلك تعد التربية على التعلم أولوية لا محيد عنها، تسهل الطريق على المعلم والمتعلم في الرؤية التحدي الثاني: الوصول إلى الهدف.

وإذا كان من أمر ينبغي الحرص عليه أولا، هو تعليم التعلم، أي الاهتمام بالمتعلم وتدريبه كيفية استعمال التكنولوجيا استعمالا صحيحا، سواء من خلال البحث في إعداد الدروس والمحاضرات والعدة الرقمية، أو من خلال التوظيف السليم للفصل المعكوس؛ فالمعلومات متوفرة بغزارة، ما يستوجب تدريب المتعلم على الاستقلال والتعلم بنفسه؛ وبذلك فالإشكال الأكبر اليوم، لم يعد مرتبطًا بالعدة التقنية والتجهيزات الاليكترونية، بل أصبح مرتبطا بكيفية الاستعمال والاستثمار الأفيد، خصوصا وأن «العديد من الدول العربية تواجه تحديا ثلاثي الأبعاد يتمثل في القضاء على الأمية التقليدية من جهة، والأميتين المعلوماتية والمعرفية من جهة أخرى، وهذا يتطلب بناء بيئة معرفية تستبدل مفهوم التعليم بمفهوم التعلم، انسجاما مع الحكمة المعاصرة التي تقول: «المعرفة لا تمنح من قبل المعلم، بل تصنع بواسطة المتعلم» .

ومما لا شك فيه أن التساؤل عن سيرورة التعلم يشغل في الدرجة الأولى اهتمام علماء النفس السببين رئيسيين:

- أولهما أن للتعلم محوره في كل نظرية سيكولوجية .
- وثانيهما أن معظم السلوك البشري ناتج عن التعلم.

ومن هنا كانت استحالة بناء نظرية سيكولوجية متماسكة متكاملة دون الاهتمام بالتعلم، وكان عدم إمكان فهم السلوك البشري دون فهم عملية التعلم .

يقصد بالتعلم عامة النشاط الذهني، الذي يفترض استخدام المتعلم لعمليات الملاحظة والفهم والتذكر والتحليل والتركيب وغيرها من العمليات المعرفية، التي تمكنه من الاستجابة والتكيف مع المحيط أو البيئة الخارجية التي يعيش فيها، ولما كانت هذه البيئة دائمة التغير، كما هو الشأن أيضا بالنسبة لمعارف الفرد، فإن المتعلم يبقى في دينامية مستمرة، أثناء تفاعله مع البيئة بحيث يكون مطالبا بإعادة النظر في معارفه ونشاطه الذهني، كما أنه يستخدم قدراته من أجل إعادة بناء عناصر ومكونات هذه البيئة، ليدمجها في بنيات ذهنية جديدة ومبتكرة، وهذا ما يسمح له بإبداع نماذج وأشكال ونظريات جديدة إن الإشكال الأكبر اليوم على مستوى التعليم والتكوين، لم يعد مرتبطا بالمعلومة، ولا بالمصدر أو المرجع، بل بكيفية الحصول

على كل هذه الأشياء داخل البيت ومن الجهاز نفسه؛ لذلك بغاية التعليم يلزم الاهتمام بالتعلم أولا، والتعلم المستهدف هنا هو التعلم الاليكتروني الذي «سيغدو أسلوبا تعليميا أساسيا، يمكنه أن يسد ثغرات غياب التعليم المدرسي. ليس خلال فترة الأزمات فحسب، وإنما أن يشكل باستمرار، دعامة للتعليم الذي يستجيب لمتطلبات العصر ويتحدث لغته التكنولوجية، حتى نتمكن من تفعيل الفصل المعكوس في التعليم والتكوين بشكل سليم يستجيب لطموحاتنا.

التحدي الثالث :أي ممارسات تربوية جديدة في ظل المدرسة الرقمية؟

مع تنامي دور مادة المعلوميات باعتبارها مادة أساسية توفر كفايات عرضانية يمكن تعبئتها في تدريس واكتساب جل المواد والمحتويات الدراسية. فإن ذلك قد انعكس على جانبية تكوين المدرس، التي أصبحت تقتضي تملكه لقدرات ومهارات تؤهله للتحكم في الوسيلة الرقمية المستعملة في المادة المدرسة، وأيضًا للتواصل الإلكتروني مع مجموعة قسمه وذلك من خلال :

- البحث عن الموارد الرقمية للمحتويات المطلوبة .
- تكييف هذه الموارد الرقمية وإعادة إنتاجها لتلائم الحاجيات والوضعيات التعليمية.
- تقييمها واستثمار نتائج ذلك التقييم الدعم المكتسبات وتجاوز تعثرات المتعلمين.

وعليه، فإن هذه الممارسة التربوية للتعليم الإلكتروني الرقمي جعلت من تداول المعرفة سواء عن قرب أو عن بعد، تقلص وبشكل ملحوظ من التواجد الفعلي للمدرس وتنمي استقلالية المتعلمين وتحكمهم في أزمنة تعلمهم وفي تدبير إيقاعاتها في ظرف سمته الأساسية غزارة المعرفة وسهولة تدفقها, كما أنها مكنت من التركيز على المزج بين التعلم الحضوري والتعلم عن بعد في إدماج التكنولوجيا الحديثة بالمدرسة من خلال ما يسمى ب (Blended Learning)".

هذا الأمر الذي يندرج ضمن التعلم الفارقي الذي يراعي حاجيات المتعلم ووتيرة تعلمه. وعليه، فقد أصبح التربويون والبيداغوجيون يفكرون في أساليب جديدة للتعلم تراعي الحاجيات الحالية للمتعلمين وتراعي السياق الذي يندرجون فيه. حيث نجد على سبيل المثال أشكال جديدة للتعلم، منها:

التحدي الرابع : ممارسة التعلم حسب السياق :

والتي تنبني على مكون السياق الذي يندرج فيه التعلم لبناء التعلمات وذلك حسب وزن ودرجة تأثير مكونات العرض التربوي في تتبيث وتحصيل التعلمات من خلال متغيرات المتعلم والمعلم والمحتوى. وعليه، وحيث إن السياق الحالي يميل إلى استدماج التكنولوجية الرقمية، فإنه يجعل من الوضعية التي يتواجد فيها المتعلم إمكانية لتجميع معلومات تفيده في تثبيت تعلماته – هذا (Yin Cet All, 2009), الأمر الذي يمكن تفسيره من خلال وضعية زيارة متحف أو محطة قطار حيث يمكن للمتعلم الحصول على معلومات دقيقة في شأن السياق الذي يوجد فيه من خلال هاتفه المحمول حول الموقع (GPS) والمحتوى والمعطيات التاريخية .

وعليه، فإن السياق في هذا النوع من الممارسات التربوية متكون من عدة متغيرات منها ما هو زماني، ومكاني، ومادي) العدة المستعملة في التعلم وبيشى) بيئة التعلم (وأخيرا البعد الذات الخاص بالمتعلم – هذا المعطي تناوله باحثون من أمثال: **N. Freisen and all, 2005- A. Sorvari and all, 2004, (De Groot, and all, 2002) alas J (P. Brusiloski and all, 2007)**

التعلم بالمحمول ((**Mobile learning** : أن كاستجابة طبع غزارة تدفق المعلومات وسرعة تداولها وسهولة تعبئتها واستعمالها في أي مكان، بالإضافة إلى انسجامًا مع الذوق العام المعاصر والمتمثل في نمط الحياة الذي تهيمن فيه الهواتف الذكية على جميع الأنشطة اليومية الاعتيادية للأفراد، وتتوفر فيه العديد من الموارد الرقمية المسيلة التحميل والاستعمال . وقد ذهب (G , N Vavoula ،2005 إلى أن التعلم المتنقل المحمول يخلق بيئة ممتازة للتعلم والتعليم حيث يساعد المتعلمين على متابعة دراستهم وفقا للأجندات الخاصة بهم. وبعبارة أخرى، يجعل التعلم المتنقل(المحمول) بيئة التعلم متاحة في أي وقت وفي أي مكان.

بيداغوجية ممارسة القسم المقلوب (Flipped classroom) : وتنبني على تغيير أدوار كل من المتعلم والمعلم من خلال انخراط المتعلم في قيادة التعلمات والتمكن من الدروس بتعلمه الذاتي بناء على المحتويات الرقمية التي توجه له حسب المواد الدراسية في منزله أو خارج الفصل، وتتبيث ذلك والقيام بالأنشطة والتمارين داخل الفصل عن طريق تفاعله مع مدرسة ومجموعة فصله؛ ولذلك فإن هذه الممارسة تمثل طريقة مغايرة لما هو متداول في المدرسة التقليدية التي تركز على التعلمات والدروس داخل الفصل وتحيل على التمارين والأنشطة المنزلية خارج الفصل, وقد حظيت بإعجاب مجموعة من التربويين لما توفره من بيداغوجية فارقية، تسمح للمتعلم التحكم في سيرورة تعلماته وفي الزمن الخاص باكتسابها، كما تمنحه القدرة على تقاسمها وشرحها لزملائه .

التحدي الخامس : الفصل المقلوب :

هذا وقد أكد davies أن طريقة التعلم بالقسم المقلوب تمكن من تعلم نشيط بإمكانه عبر مجموعة من الأنشطة المتنوعة تحقيق ما يلي:

- تعزيز التعلم العميق عوض السطحي
- تعزيز التعلم النشيط مقابل السلبي
- تعزيز التعلم التجريبي والتعاوني
- تعزيز بناء المعرفة وتحسين تعلمها من خلال الصعوبات والإشكالات التي تواجه المتعلمين .

إلا أن هذه الطريقة برغم هذه المزايا لا تخلو من معيقات متعلقة بإشكالات تكنولوجية من قبيل عدم استقلاليتها عن الربط بالإنترنيت – وكذا من حيث التنظيم الذي يتطلب مجهودًا كبيرًا حتى يتسنى للمتعلمين استبطان هذه الطريقة وتملكها، بالإضافة ضرورة توفر الحافزية اللازمة للتعلم – ومع ذلك تبقى هذه الطريقة شكلا جديدًا يفتح مجالا مختلفا للتعلم منسجمًا مع الثورة المعلوماتية. – أي تحديات تواجه المدرسة الرقمية؟

ويتفق التربويون على أن الجزء المتعلق بالمعرفة لا يمثل فيه إلا جزءًا يسيرًا من حاجيات المتعلم، في حين تبقى الجوانب المتعلقة بما هو وجداني، وحس حركي... جوانب بالغة الأهمية تمكنه من العيش مع أقرانه واكتساب المهارات السلوكية التي تيسر اندماجه في مجتمعه. وعليه، فإن المدرسة الرقمية؛ التي توفر كما معرفيًا هائلا تجعل توصيل المعرفة أسهل ومقتصرًا على الشق المعرفي؛ تنتج متعلمين منغلقين في عالمهم الرقمي، الأمر الذي يفقدهم حرارة التفاعل الإنساني المرتبط بمخالطة أقرانهم واستبطان قيم الجماعة والمجتمع؛ وذلك بهدف تحضيرهم لأدوار مجتمعية مستقبلية مع بني الجنس المكونين للوطن – وبذلك نسجل تراجعًا لدور المعلم في توصيل المهارات السلوكية بوصفه النموذج والقدوة، الشيء الذي يترتب عنه ضعف السمة الاجتماعية من سمات شخصية المتعلمين، وخفوتها لديهم في الضمير الجمعي الذي يعكس العواطف والأفكار والعادات السلوكية المندرجة ضمن القيم المشتركة والمستبطنة التي تحرك الأفراد والجماعات . هذا الأمر الذي عبر عنه " Philippe Bihouix" في نقده لمخاطر المدرسة الرقمية، حيث صرح بأننا سنقوم بتربية أطفالنا "خارج الأرض" مثل الطماطم"

هذا، ولا بد من الإشارة إلى التحديات المرتبطة بالتأثيرات الجانبية للتجهيزات الرقمية على صحة وسلامة المتعلمين – ولذلك، فإن الممارسة الحالية ومن داخل الميدان، أظهرت بوضوح لدى العديد من الدول تنامي الضعف في تلك المهارات الأساسية لدى المتعلمين كالكتابة واللغة مثلا – هذه الوضعية، التي تمثل نتاج نقصان التدريب على المهارات الحركية الدقيقة (fine motor skills) للمتعلمين لا سيما في المراحل التعليمية الأولى إبان الطفولة المصغرة والتعليم الابتدائي التي تستدعي التدريب المستمر لتنمية المهارات اليدوية؛ وذلك بحضور فاعل وفعلي للمربيات والمعلمين المشرفين على الأطفال ضمن الحصص الحضورية . كما أن المعلومات المتوفرة بغزارة على شبكة الإنترنيت تخضع لإكراه صعوبة تداول المراجع الرقمية لا سيما في شقها المرتبط بالمجال القانوني، نظرًا لعدم وصول جل الدول إلى نفس المستوى من التقنين المنظم للمعلومات، كما يواجه أيضا تحديا في شأن مدى صدقية المعلومات المتداولة واحترامها للضوابط الخاصة بالملكية العلمية والفكرية لمصادرها.

وعليه، فإن هذه التحديات، تقتضي الحضور الفاعل للدولة في إطار رؤية شمولية يتم الارتكاز فيها على تمتين الموارد الرقمية بالقيم الإنسانية حتى يتسنى لها الانسجام مع المحيط العالمي، الأمر الذي يتطلب إيلاءها العناية والتأطير اللازمين من حيث المضامين لجعلها أداة للحفاظ على الخصوصية السوسيو ثقافية للمجتمع.

وفي هذا الصدد، لا بُد من التأكيد على الدور للكتاب المدرسي الرقمي بكونه الآلية الأساسية التي يتم عبرها تنزيل التوجيهات المنصوص عليها في المناهج والبرامج المدرسية للنظام التربوي الرسمي. لكن الواقع الحالي للمنظومة التربوية يبين بالملموس، التأخر الواضح في هذه الصيغة بالنسبة للكتب المدرسية بوزارة التربية الوطنية؛ الأمر الذي يقودنا إلى نتيجة مفادها أن الطريق إلى التحكم في التعلمات الرقمية ما يزال بعيد المنال وإن كانت الجهود منصبة حاليًا كما ذكرنا سالفا على التجهيزات وتكوين الأساتذة وتأهيل المؤسسات التعليمية.

المحور الثاني: الصعوبات التربوية

الصعوبة الأولى: عدم قدرة المتعلمين في البيئات المحرومة من الانخراط المستمر والفاعل في عملية التعليم عن بُعد:

لقد بين الخبير البيداغوجي الفرنسي " فليب ميريو "[6] في حوار ترجمه الدكتور محمد الداهي " نفس الطرح الذي تبناه, بحيث رأى أن التعليم عن بُعد يعمق الفوارق الاجتماعية بقوله :"كشف التعليم عن بعد الفوارق الاجتماعية وعمقها , هناك تلاميذ ليست لهم إمكانات ولوج الإنترنيت ، وهناك عائلات لاتتوافر إلا على شاشة حاسوب واحدة, علاوة على ذلك لا تسمح شروط السكن لبعض الأطفال الانعزال حتى ينجزوا أعمالهم ويفكروا في هدوء [7].

الصعوبة الثانية : اتساع الهوة بين التجربة والتجريب :

أضحى التجريب في العالم الثالث مغامرة غير محسوبة العواقب بل قد تؤدي مضاعفاته للسخرية من ذواتنا لما تتجرع مذاق الخيبة الأسن . فالعالم الأورو– أمريكي يمتلك مصداقية النظرية وشرعية التجربة ، لكونه تجاوز زمن التجريب , فالتعليم عن بعد قد يشكل لنا أزمة مجتمعية رغم ضرورته في زمن الأوبئة والأمراض المعدية , إلا أنه يعتبر وسيلة مهمة لمواصلة المسير ورفعة المجتمع المغربي .

الصعوبة الثالثة : تعلم الدرس القاسي والصعوبة في الفعل والتفعيل :

بعد الأزمة شلت أغلب القطاعات لكن لم يكن في حسباننا ولم يكن هناك تخطيط مسبق ولايمكن للإنسان رغم الظروف القاسية أن يتوقف عن التعليم والتربية حتى ولو كان على شفى حفرة من الموت , حتى ولو أصيب بشلل الإعاقة , فالجسد قد يصاب بداء لا دواء له لكن الفكر والعقل يتساءل في كل الأزمنة بحثا عن الإنتاج والابتكار والتجديد، قد لانزوال أعمالنا في المدارس والمؤسسات، لكننا سندرس أبنائنا في بيوتنا، واليوم أهم درس تعلمناه قد يكون منح القداسة للإنسان فينا وللأشياء معا. من ينكر منا أهمية الآلات الذكية في عصرنا .وفي هذا الصدد ورد في جواب وزير التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي " سعيد أمزازي "كتقويم لحصيلة التعليم عن بعد في مجموع أسلاك التعليم بالمغرب وآفاق استكمال السنة الدراسية أمام فرق ومجموعة مجلس المستشارين، كلمة قوية في حق الأطر التربوية والإدارية كموارد بشرية تفعل نجاح تجربة التعليم عن بعد بقوله: (الشكر كذلك موصول لجميع الأستاذات والأساتذة والمكونين والمفتشات والمفتشين وجميع الأطر التربوية والإدارية والتقنية مركزيا وجهويا وإقليميًا على انخراطهم اللامشروط في جميع التدابير التي اتخذتها الوزارة، والتي سعت إلى ضمان الاستمرارية البيداغوجية، كما أشد على أيديهم بحرارة لما بذلوه من مجهودات ولما أبانوا عنه من حس وطني عال ومبادرات متميزة مكنت من مواصلة العلمية التعليمية في هذه الظروف الاستثنائية")[8]

(6) فليب ميريو شيخ البيداغوجية (التربية) وأحد أبرز الباحثين الفرنسين في حقل التربية يصف نفسه ب (المناضل البيداغوجي) وهو مناضل مسؤول ورجل يسار إيكولوجي ، يناضل منذ أربعين سنة لنشر مبادئ التربية الجديدة داخل المجتمع الفرنسي .

(7) في حوار مع فليب ميريو التعليم عن بعد يعمق الفوارق الاجتماعية ترجمه الدكتور محمد الداهي .

(8) جواب تجربة التعليم عن بعد وآفاق استكمال السنة الدراسية فرق ومجموعة مجلس المستشارين الثلاثاء 12 ماي 2020م: ص 3

خاتمة :

إجمالًا، فإن التعلم الرقمي الذي هو نتاج الثورة المعلوماتية، يدخل حاليًا مرحلة حاسمة تساءل الدول والمجتمعات من أجل تكييف مضامينها الرقمية ووسائلها مع الخصوصيات المحلية والإقليمية؛ لجعل عمليات التعلم لديها آمنة بهدف تحقيق الفعالية المطلوبة في تنشئة أبنائها بشكل يضمن استمرارية هذه المجتمعات؛ لذلك فالرهانات المطروحة ليست فقط مقتصرة على إرساء المدرسة الرقمية والتجهيزات والوسائل المتعلقة بها وكذا الموارد البشرية التعليمية والطرائق الديداكتيكية المستعملة لنقل المعرفة واستثمارها، بل هي متعلقة أيضا بدور المعلم الذي سيشرف على العملية التربوية وكذا بدور الكتاب المدرسي الرقمي الذي هو الحامل (Support) الضامن لتمرير الخطاب التربوي الرسمي إلى المتعلم نظرا لكونهما الأداتين اللتين يحققان الاستعمال الأمن والفعال لهذه الوسيلة في تربية الأجيال.

لقد آن الأوان كي نعيد النظر في نظامنا التعليمي وكيفية تنزيله بشكل سليم ونعتقد أن سلامة هذا التنزيل لن تتحقق بشكل مريح ومنتج إلا بالتصالح مع التقنية والإيمان بنجاعتها ودورها الفاعل في التعليم والتكوين، وتعد بيداغوجيا الفصل المعكوس تمثلا استراتيجيا بيداغوجيا سيؤتي النتائج المرجوة منه إذا أحسنا تنزيله ديداكتيكيا، وهذا لن يتحقق إلا بالانطلاق من التكوينات الرسمية الموجهة لأطر هيئة التدريس وأطر هيئة الإدارة التربية في المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، وما يصاحب ذلك من تكوينات مستمرة بإيقاعات متباينة، هذا إذا كنا نبحث بالفعل عن الجودة في التربية والتعليم، حيث استدعى التغيير السريع في الميادين الاقتصادية والتقنية والاجتماعية والسكانية، نشوء مطالب ملحة على القطاع التعليمي، مما ساعد في ظهور ما يعرف بالجودة التعليمية[9].

لقد كانت جارحة كورونا وما أعقبها من تدبير تربوي وبيداغوجي يختلف تماما لما عهدناه، سببا وجيها في خلخلة مجموعة النظريات التربوية الجاهزة، من أهمها ظهور «التعليم عن بعد» باعتباره نمطا تعليميا جديدا، بالإضافة إلى التعليم الرقمي الذي هو نتاج الثورة المعلوماتية، والذي يدخل اليوم مرحلة حاسمة تسائل الدول والمجتمعات من أجل تكييف مضامينها الرقمية ووسائلها مع الخصوصيات المحلية والإقليمية، لجعل عمليات التعلم لديها آمنة بهدف تحقيق الفعالية المطلوبة في تنشئة أبنائها بشكل يضمن استمرارية هذه المجتمعات. لذلك، فالرهانات المطروحة ليست فقط مقتصرة على إرساء المدرسة الرقمية والتجهيزات والوسائل المتعلقة بها، وكذا الموارد البشرية التعليمية والطرائق الديداكتيكية المستعملة لنقل المعرفة واستثمارها، بل هي متعلقة أيضا بدور المعلم الذي سيشرف على العملية التربوية وكذا بدور الكتاب المدرسي الرقمي الذي هو الحامل (support) الضامن لتمرير الخطاب التربوي الرسمي إلى المتعلم[10].

ورغم عنصر المباغتة الذي عرفه النظام التعليمي العالمي منتصف الموسم الدراسي الماضي، بالانتقال إلى التعليم الرقمي وتجاوز النظام التعليمي العتيق، استطاع القطاع الوصي أن يتجاوز هذا الطارئ بأقل الخسائر، حيث كنا بصدد مدرس لا يتقن لغة الرقمنة بالقدر المتقدم الذي وصله المتعلم، لشدة احتكاكه بمختلف الوسائط التكنولوجية في الولوج إلى البرمجيات والتطبيقات والعلوم والمعارف وغيرها من المعلومات بطريقة سهلة وسريعة، بشكل أضحى فيه دور الأستاذ محط مساءلة وإعادة نظر، فانتقل دوره من اعتباره مصدر المعرفة إلى موجها لتنزيلها ومؤطرا لكيفية البحث عنها، عن طريق تعليم التعلم، كما

(9) محمد الدريج المعايير في التعليم لمعايير في التعليم. نماذج وتجارب لضمان جودة التعليم، سلسلة المعرفة للجميع، سنة 2007، ص 14

(10) يوسف الخياط المدرسة ورهان التعليم الرقمي، مجلة علوم التربية، عدد 73، عدد خاص، أكتوبر 2020، ص 61.

استوجب استحضار بيداغوجيا جديدة تستجيب لهذه الأطروحة، وذلك لن يتحقق إلى بإعادة النظر في تكوين المدرس وجعله مؤهلا ديداكتيكيا وتقنيا وبيداغوجيا، وعلى أهبة تامة للتكوينين الذاتي والمستمر، فالمدرسة الرقمية لا يمكن أن تقبل بمعلم يحتفظ بالعدة نفسها في مقابل متعلم متجدد يسابق التكنولوجيا في حداثته .

هذه إذن ، أبرز المعالم التي نهجتها في هذا البحث, ولا أدعي الكمال فيه ؛ فالكمال لله . ؛ ولكن هذا جُهد المقِلة القاصرة؛ ورحمَ الله من أهدى إليّ عيوبي ؛ ولم يُعن عليّ القرين؛ وجعل لي حظًا من دُعائه ؛ فإنما أنا بشر أخطِئ ؛ وقد أصيب, وأقول كما قال الإمام القلقشندي (ت821هـ) : : (وليعذر الواقف عليه، فنتائج الأفكار على اختلاف القرائح لا تتناهى ، وإنما ينفق كل أحد على قدر سعته، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها، ورحم الله من وقف فيه على سهو أو خطأ فأصلحه عاذرا لا عادلا، ومنيلا لا نائلا، فليس المبرأ من الخطل إلا من وقى الله وعصم ، وقد قيل : (الكتاب كالمكلف ، لا يسلم من المؤاخذة ، ولا يرتفع عنه القلم))[11] . والله أسأل العون والرشاد، والتوفيق والسداد ، في القول والعمل، وأن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم, (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[12] ؛ وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد رسول الله ن ، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين .

(11) "توثيق النصوص وضبطها " لموفق بن عبد الله بن عبد القادر (ص12) نقلا عن " صبح الأعشى في كتابة الإنشا " للإمام أبي العباس أحمد القلقشندي (ت821هـ) (ج1ص36) .

(12) سورة هود ، الآية : 88 .

المصادر والمراجع المعتمدة :

- "إلزا غودار أنا أوسلفي اذن أنا موجود، تحولات الأنا في العصر الافتراضي" ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي للكتاب الطبعة الأولى 2019.
- Borje Holmberg the evolution Principles and practices of distance education.
- دكتور صباح براهمي، إشكالية مفهوم التعلم عن بعد في الأوساط الأكاديمية قراءات في تعريف التعليم .
- "أسرار التكوين عن بعد" الأستاذ محمد تاج الدين .
- جريدة الأخبار، العدد 2266، الصادر بتاريخ الاثنين 6 أبريل 2020.
- محمد الدريج المعايير في التعليم لمعايير في التعليم. نماذج وتجارب لضمان جودة التعليم، سلسلة المعرفة للجميع، سنة 2007 .
- يوسف الخياط المدرسة ورهان التعليم الرقمي، مجلة علوم التربية، عدد 73، عدد خاص، أكتوبر 2020.